EL - HAKIKA (the Truth) Journal
for Social and Human Sciences
Volume 18 Issue 01 March 2019
(Issue 48 of the previous sequence)

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2139-2588

مجلة الحقيقة
للعلوم الاجتماعية والانسانية
مجلد 18عدد01 مارس 2019
(العدد 48 من التسلسل السابق)

الثورة التحريرية وأسئلة الهوية في شعر جيل ما بعد الاستقلال.

The liberation revolution and questions of identity in the poetry of the post-independence generation.

- الدكتورة: حنان بومالي ، قسم اللغة والأدب العربي.معهد الآداب واللغات.المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف بميلة. الجزائر، التخصص الدقيق: أدب عربي حديث ومعاصر،

البريد الإلكتروني:boumalihanan@yahoo.fr

- Received date: 20/02/2018
- **Accepted date:** 19/01/**2019**
- Publication date: 15 /04/2019

الملخص:

إن تأثير الثورة التحريرية في الأدب الجزائري لفترة ما بعد الاستقلال يبرز من خلال النصوص الشعرية والقصصية والروائية والمسرحية؛ والتي استمدت مضامينها وشخصياتها من واقع الثورة الجزائرية، وبما أن الشاعر الجزائري الحديث والمعاصر لا يرتبط بأحداث تاريخه وقضايا أمته ارتباط المتفرج الذي يصف ما يشاهد، وينفعل بما يصف، وإنما يعيش الأحداث ويحاول استكناه أسرارها، فقد شغلت الثورة الجزائرية أقلام عدد لا يحصى من الشعراء الجزائريين المحدثين؛ ممن أفادوا من الثورة معجما لغويا جديدا لم يعرف من قبل، بالإضافة إلى تنوع أشكاله وموضوعاته. ولعل هذه الدراسة أن تمتحن قدرة هؤلاء الشعراء الشباب على إظهار صورة الثورة التحريرية في أشعارهم، وكيف برزوا في صوت متميز وجديد وسط بحر لامتناه من التجارب؟ ثم كيف حملوا لواء الروح واتخذوا من القصيدة فضاء للبوح، ومن الكتابة الشعرية معراجا إلى برزخ الثورة وآفاق الوطنية المطلقة والهوية العربية؟.

الكلمات المفتاحية : الثورة، شعر مابعد الاستقلال، القضايا الوطنية، المعاصرة.

Astract:

The effect of the revolution in Algerian literature of post-independence protrudes through poetic texts and stories and narrative and dramatic, which derived its contents and its characters from the Algerian revolution, s ince the Algerian poet of modern and contemporary history is linked to the events and issues of his nation a spectator describing the watch, and get excited by what describes, but live events and discerning its secrets, it has operated the Algerian revolution pens of countless poets Algerians .those who benefited from the revolution Glossary a new language not known before, in addition to The diversity of forms and subjects. Perhaps this study to test the ability of these young poets show a revolution in them? How then carried the banner of the holy spirit and of the poem a space for communicating, and writing poetic place of ascent to the isthmus of the revolution and the prospects for national and Arabic identity?.

***Mots clés**:* After independence, the revolution, National issues, contemporary.

المقدمة:

إن العلاقة بين الإنسان والوطن علاقة تلازم، إذ لا وطن من دون إنسان ولا إنسان من دون وطن، فالوطن من دون إنسان مجرد فضاء جغرافي لا معنى له ولا قيمة، كما أن الإنسان من دون وطن ينتمي إليه وتنبني حياته عليه يفقد كل معانيه وحقوقه وقيمه واعتباره، ويصبح بمثابة قطعة غيار قيمتها في صلاحيتها للاستغلال وإذا انعدمت هذه الصلاحية ترمى القطعة ولا يلتفت إليها.

والوطن عند الشعراء الجزائريين لا يعني تلك المساحة الجغرافية فحسب؛ وإنما يعني قبل ذلك المساحة الحضارية بعناصرها البشرية والعقدية واللغوية، وجوانبها التاريخية بأبعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وحتى اللغوية، وبمورثها الحضاري، وهذه المساحة الحضارية عرفت ظاهرة إنسانية غربية، إجرامية مدمرة، تمثلت في تسلط

استدماري فرض على الجزائريين واقعا غريبا عنه لغة وسياسة وإدارة وثقافة وأجبره بقوة الحديد والنار على القبول والرضا بهذا الواقع طيلة قرن وثلث قرن، ولكنه بعد هذه الفترة الزمنية المثقلة بالألم والبكاء والمجازر، بدأ يرتفع صوته تارة بالغضب، وطورا بالتحدي، وطورا آخر بالثورة والتمرد، وذلك هو الشعر الثوري الجزائري[1]. وهذا الموقف الجديد عبر عنه شعراء ما بعد الاستقلال بأساليب مختلفة ومتنوعة، وكانت الثورة الجزائرية من الثورات التي تركت بصماتها على البشرية، وألهمت قرائح الشعراء في كامل الوطن العربي فكتبوا عنها وعن بطولات مجاهديها وثوارها على اختلاف في الأدوات واللغة المستعملة.

ويأتي مسعى هذه الدراسة من أجل الوقوف عند عمق التجربة الشعرية على مستوى خطاب شعراء ما بعد الاستقلال وحضور الهوية والقومية والوطنية في أشعارهم، وقدرتهم على استحضار الثورة التحريرية في مدوناتهم، وللإجابة عن هذه الإشكالات توزعت هذه الدراسة على ثلاث نقاط:

أولا– قراءة في مفهوم الثورة.

ثانيا– بين شعر الثورة وثورة الشعر.

ثالثا– مقاربة إجرائية لبعض النصوص الشعرية.

والحقيقة إن تأثير الثورة التحريرية في الأدب الجزائري لفترة ما بعد الاستقلال يبرز من خلال النصوص الشعرية والقصصية والروائية والمسرحية؛ والتي استمدت مضامينها وشخصياتها من واقع الثورة الجزائرية، ثم إنها فجرت كوامن الإبداع لدى كثير من المبدعين، فكانت إحدى المفاهيم الخاصة التي تفرقت بشأنها الأفكار وتناثرت، لأنها استعداد حضاري عام وشامل يقوم به الإنسان لانجاز المهام الكبرى التي تؤهله للسيادة والاستخلاف.

[1] – أحمد شرفي الرفاعي: الشعر الوطني الجزائري. دار الهدى: الجزائر. 2010. ص4–5.

أولا- قراءة في مصطلح الثورة:

1- الثورة في اللغة:

ورد في لسان العرب:« ثار الشيء: ثورا وثؤروا وثوران وتثور: هاج...، وثوره الغضب: حدثه، والثائر: الغضبان ويقال للغضبان أهيج ما يكون: قد ثار ثائره وفار فائره، إذا غضب وهاج غضبه...، ويقال: انتظر حتى تسكن هذه الثورة، وهي الهيج».[1]

ونقول: أرض مثارة إذا ما أثيرت بالسن وهي الحديدة التي تحرث بها الأرض، وأثار الأرض من قلبها على الحب بعدما فتحت، وقال الأعرابي: ثورة من رجال وثورة من مال للكثير، والثور القطعة العظيمة من الأقط، والجمع أثوار وثورة على القياس والجمع أثوار وبثار وثورة وثيرة وثيران وثيرة...، ويقال: هذه ثورة مثيرة أي تثير الأرض... وثوران الريح كالهبيب، وثار الغبار سطع وبابه، قال: وثورانا أيضا وإثارة غيره وثور فلان الشيء تثويرا هيجه وأظهره، وثور القرآن بحث عن علمه[2].

يتضح من هذه التعريفات اللغوية أن معنى الثورة يصب في قالب الرفض والتغيير، ذلك الرفض الإيجابي المقبول لا السلبي المرفوض، أي أن مفهوم الثورة يدور حول الثورة الكلية المنظمة ذات الرؤية الإستراتيجية المؤدية في نهايتها وعبر مراحلها المختلفة إلى نتيجة إيجابية تحقق الخير والصلاح والنفع للجميع.

2- الثورة في الاصطلاح:

لا يبتعد التعريف الاصطلاحي لكلمة الثورة عن المدلول اللغوي؛ حيث يلتقي معه في معنى التغيير والهبوب والحرث والانقلاب والتهيج والقوة، والبحث عن الجدة والاختلاف، فالثورة تعني« فعل التغيير الشامل أو هي بتعبير أدق أقصى مراحل الرفض للسلبيات»[3]، وإذا كان التمرد حركة لا نتيجة لها في الواقع واحتجاجا غامضا لا ينطوي على نظام أو مذهب، فالثورة «محاولة لتكييف العمل وفقا لفكرة ابتغاء تشكيل العالم داخل

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب. دار صادر: بيروت. ط1. ج3. ص53. مادة ثار.

[2] – ابن منظور: لسان العرب. مادة ثار.

[3] - عبد العزيز المقالح: أزمة القصيدة الجديدة. دار الحداثة: بيروت. دار الكلمة: صنعاء. ط1. 1981م. ص75.

إطار نظري»[1]، ومن ثمة فالثورة فعل إنساني هدفه التغيير الشامل والتطهير الكلي، إنها الهيجان الذي يقلب ملامح الأرض ويهز الأعماق، ويغير الخرائط ويبدل المجتمعات والأفكار من حال إلى آخر.

وقد تعني الثورة « تلك التي تشمل كل شيء، فكل اختراع ثورة، وكل اكتشاف ثورة، كل فكرة جديدة ثورة، كل زي جديد إما في اللباس وإما في المأكل والمشرب والمأوى، وإما في اللغة والأدب، وإما في الصناعة والتجارة، أو في الدراسة والعبادة، أو في التقاليد والنظم السائدة ثورة، وهذه الثورات هي التي بها تتجدد الحياة من يوم ليوم ومن جيل لجيل»[2]، فالثورة إذن لا تكون في مجال واحد وإنما تشمل جميع المجالات على اختلاف طريقتها وأدواتها.

ومصطلح الثورة وإن كان قد عرف واستعمل في تراثنا العربي الديني منه والسياسي، إلا أنه لم ينفرد وحده بالدلالة على تلك المعاني التي أشرنا إليها، من أنه « العلم الذي يوضع للممارسة والتطبيق من أجل تغيير المجتمع تغييرا جذريا وشاملا... والتي استقرت في أدبنا السياسي الحديث، فلقد شاركته في الدلالة على هذه المعاني أو بعضها مصطلحات أخرى».[3]

وتعرف الموسوعة العربية الميسرة مصطلح الثورة بأنه « تغيير جوهري في الأوضاع السياسية والاجتماعية لدولة معينة لا تتبع في إحدى الوسائل المقررة لذلك في النظام الدستوري لتلك الدولة، ويفرق بعضهم بين الثورة وبين قلب نظام الحكم على أساس أن الأولى يقوم بها الشعب نفسه، في حين يقوم بالانقلاب بعض رجال الحكم، ويترتب على نجاح الثورة سقوط الدستور وانهيار النظام الحكومي القائم.»[4] ، وعليه فالثورة والانقلاب مختلفان في الطريقة والنتائج، لأن الأولى يقوم بها الشعب والثانية رجال الحكم.

---

[1] - إبراهيم رماني: أوراق في النقد الأدبي. دار الشهاب: الجزائر. ط1. 1985م. ص34.

[2] - ميخائيل نعيمة: دروب. دار صادر: بيروت. ط5. 1968م. ص24-25.

[3] - أيمن تعيلب: قصيدة الثورة في الخطاب الشعري المعاصر "جدل الشعر والسلطة". دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع: دسوق. ط1. 2011م. ص11.

[4] - الموسوعة العربية المسيرة. دار الجيل: بيروت. ط2. مج2. مادة الثور والثورات. ص798-804.

إن الثورة بهذا المفهوم جزء لا يتجزأ من السياسة، أو هي وجهها الآخر؛ أو هي « البوتقة التي تنصهر خلالها الروح ويتطهر في أتونها الوجدان ويتبلور بدمائها الفكر[1]، وغالبا ما تكون ثورة السلاح نتيجة منطقية ومتوقعة للتعفن السياسي الذي يلقي بظلاله السوداء على كل مناحي الحياة الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وحينئذ تصبح الثورة السبيل الأوحد والحل الأمكن لتحقيق التغيير والتطوير والتبديل المستمر.

ثانيا– بين شعر الثورة وثورة الشعر.

إذا كان الشعر في كافة أشكاله ودلالاته هو تحريض وتثوير وتحرير سواء أكان تثويرا لغويا أم معرفيا أم تصويريا أم بنائيا على مستوى رؤية الواقع والعالم، دون فصل بين شكل ومحتوى أو رؤية ورؤيا، فالشعر بهذه الصورة يساوي الثورة، والثورة تساوي الشعر[2]، أو هما وجهان لعملة واحدة، إذ الكلمة سلاح فعال من أسلحة الثورة لا تقل فتكا عن الرصاص، إنها على حد يعتبره مایاكوفسكي « قائد القوى البشرية».[3]

ثم إن الشعر أكثر أنماط الأدب ليونة وأقدرها على التعبير عن المكنونات من جهة، واحتواء للثورات من جهة أخرى والشعر يكتب الثورة ويشعلها كما الثورة تفتح مجال الإبداع والخلق للشاعر، فهي تصنع له الأفكار، وتخلق له الرؤى، ولا نتخيل أن علاقة كهذه كل حدودها المنفعة المتبادلة لا تنفصم، بل من اليسير أن تتهاوى، إذا كان كل ما يوحدهما هذه البراغماتية المؤقتة.

لكن علاقة الشعر بالثورة أعمق من هذا وأوثق، ذلك أن الشاعر إنسان يعيش مجتمعه وواقعه وآفاقه، بل هو شعلة أحاسيس وموهبة ووعي تؤهله لأن يكون أكثر انفعالا وتفاعلا من الإنسان العاري مع ما يطرأ من أحداث، والشاعر يعطي الثورة أعز ما يملك ويبذل في ذلك بعضا من دمه وجسده وروحه وأعصابه ووجوده.

---

[1] - غالي شكري: أدب المقاومة. دار المعارف: مصر: 1970م. ص144.

[2] - أيمن تعيلب: قصيدة الثورة في الخطاب الشعري المعاصر. ص.118.

[3] - حنا مينا، نجاح العطار: أدب الحرب. دار الآداب: بيروت. ط2. 1979.م. ص25.

ولعل أهم وظائف الشاعر أن يمهد للثورة وينشؤها، ويعرض عليهم مثلا جديدة يحببها إليهم، ويزينها في قلوبهم، وهو بهذا يفتح للثورة أبواب النفوس والضمائر، ويمهد لها الطريق في حياة الأفراد والجماعات فيتاح له النجاح ويدركه الإخفاق أحيانا أخرى،[1] أليس هو وجدان الأمة وعقلها المفكر ولسانها الناطق وضميرها الحي الذي لا يموت وقلبها الخافق بالنبض ما دامت فيه الحياة.

ومن هنا كان الشعر الذي يدعو إلى الثورة و« يمهد لها ويغري بها، ويلهب نارها ويسمع ذويها ويدفعها إلى الأمام دفعا، ويخرجها من ظلام الظلم إلى ضياء الحق، ويجعل منها واقعا فعليا بعد أن كانت فكرة وحلما، هو ذاك الذي نسميه ثورة الشعر»[2]، وكان الشعر الذي يظهر بعد أن تستقر الأوضاع وتتضح الأمور، و« تختمر الأشياء والأفكار في الذاكرة، وتنمو تلك البذرة الطيبة، فإذا هي شجرة مباركة جذورها في الأرض وفروعها في السماء هو شعر الثورة.» [3] فالشعر الثوري ينطلق من الفكر ليحقق نتائجه على مستوى الواقع.

وعليه فإن الثورة في الشعر ليست موضوعا بقدر ما هي موقف يفقه الشاعر من مختلف القضايا وطابع خاص يطبع شعره، وهذا ما يتلمسه المتلقي لشعر الشعراء الجزائريين بعد الاستقلال – بعد أن خمدت جذوة الثورة ولهيبها–، حيث لم تتبدل علاقة الشعراء الجزائريين بعد الاستقلال بالأحداث التي عاشتها البلاء أيام الثورة التحريرية، تحسسها الشعراء معلما محددا لتوجه المسار التاريخي لشعرهم، إذا ابتدأت معها مرحلة جديدة مختلفة تاريخيا وشعريا عن سابقتها.

لقد كان للثورة التحريرية نتائج مدمرة ومريعة، وكانت لها آثارها على نفسية الجزائريين قاسية، وبالمقابل كانت « وسيلة الشعراء إلى التعبير عن هذه الإحساس برومانسية حزينة، وإن لم تكن سوداوية قاتمة»[4]، وبذلك تهيأت دوافع التغيير والثورة والتمرد

[1] - طه حسين: خصام ونقد.دار العلم للملايين. ص115.

[2] - إبراهيم رماني: أوراق في النقد الأدبي. ص37.

[3] - بلقاسم بن عبد الله: دراسات في الأدب والثورة. دار هومة: الجزائر. ط1. 2001م. ص176.

[4] - شلتاغ عبود شراد: حركة الشعر الحر في الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر. 1985م. ص63.

ISSN: 1112-4210
EISSN: 2139-2588

والرفض لدى الشعراء، تلمسوها في الاطلاع والانفتاح على ما يصدر في المركز المشرقي.

ثم إن حركة الشعر الحر في الجزائر استجابة نفسية للنداء الشعري في المركز وردة فعل بالثورة ضد الواقع الذي تعتلج مؤثراته في ذوات الشعراء من خلال العوامل المجتمعية والسياسية للحياة العامة للجزائر، والتي دفعت الشعراء الشباب إلى البحث عن قالب جديد يتماشى مع ما يحسون به داخل أعماقهم من إرادة التطوير والتغيير.[1] ولقد أفاد الشعر الجزائري بعد الاستقلال من الثورة معجما لغويا جديدا لم يعرفه من قبل بالإضافة إلى تنوع أشكاله وموضوعاته؛ فكانت المعين الخصب الذي نهل منه جملة من الشعراء الشباب آنذاك أمثال : أزراج عمر، حمري بحري، محمد بن رقطان، عياش يحياوي، سليمان جوادي، نور الدين درويش، يوسف أوغليسي...وغيرهم ممن بدؤوا الكتابة في السبعينيات من هذا القرن .

وتتميز هذه الحركة الشابة في الجزائر بمميزات عديدة تميزها عن جيل الرواد " محمد الشبوكي، محمد العيد آل خليفة، مفدي زكريا، محمد أبو القاسم خمار، محمد الصالح باوية .... تأتي الحداثة في مقدمة هذه الميزات، ويقصد بها جانبي الشكل والمضمون، حيث استطاع هذا الجيل أن يواكب حركة الأدباء الشباب في الوطن العربي.. كما أنه تمكن من أن يشكل رافدا جديدا للحركة الشعرية العربية الحديثة.

وإذا قلنا إن الحداثة هي الميزة التي تطبع شعر هذا الجيل في الجزائر، فهذا لا يعني غياب الشكل العمودي في أشعارهم، فهناك عدد لا يحصى من الشعراء ممن يكتبون قصائدهم على الطريقة الخليلية، حتى إن بعض النقاد لاحظوا أن« مستوى الطرح في هذه القصائد الخليلية لازال حبيس الرؤية التقليدية للأمور، وتسيطر عليه النظرة السلفية... ولعل هذا ما يؤكد مدى الارتباط القوي بين الشكل والمضمون.»[2]

[1] - يوسف ناوري: الشعر الحديث في المغرب العربي. دار توبقال للنشر: الدار البيضاء. ط1. 2006م. ج2.ص31.

[2] - محمد زتيلي: فواصل في الحركة الأدبية والفكرية الجزائرية. ط 1 .دار البعث: قسنطينة.1984م. ص66.

كما أن المتتبع لإبداع جيل ما بعد الاستقلال يجد التصاقا قويا بالأرض والثورة، وانصهار ذواتهم الفردية بالذات الجماعية، مما جعل للثورة التحريرية صورا وتجليات بارزة، منها السياسي المباشر، ومنها الرمزي الإيحائي، ومنها التمثيلي الفني كما يتراءى في الشعر والسرد وبقية الأشكال الإبداعية.

ومن هنا فإن التمثيل الشعري لهذا الجيل يمتلك فعالية بالغة، لاتكائه على تاريخ الجزائر العريق، وتطويعه عن طريق الخبرة الجمالية، وتفعيله لأقصى مستويات اللغة في التأثير وكفاءته في تشكيل رؤية حاسمة للثورة التحريرية وأسئلة الهوية، كما تصوغها الكلمات في أوضاعها الدلالية.

ولعل تحليل هذا الخطاب الشعري، لا يمكن أن« يتراجع إلى منطقة التحليل المضموني أو الموضوعاتي المتروك، بل عليه أن يلتمس إجراءاته ومنهجه فيما أسفرت عنه التقنيات الجديدة لبحوث الشعرية، خاصة في سياقها التداولي الذي يسمح بالعناية المتوازنة بجميع عناصر التواصل في الخطاب الشعري، وهي عناصر تستوعب النص كما تحيط بدوائره المباشرة، فشمل المرسل والمتلقي، وتتضمن زمن الخطاب ومكانه، وتحدد الفضاء الذي يتم فيه استقباله والعلاقات المتبادلة.» [1]

فكانت الثورة الجزائرية مصدر الهام كل الشعوب وكل حر عربي، وكل إنسان يحب أرضه ويلتزم بقضايا أمته ولقد أشرقت أقلام شعراء مابعد الاستقلال بالثورة الجزائرية، حيث أبدعوا خيرة ما كتب في هذا المجال، خاصة وأن الثورة الجزائرية هي الثورة الأولى في العالم التي حظيت بقصائد واهتمام الشعراء، فلم يبق شاعر عربي إلا وكتب وتمعن في الثورة الجزائرية، وذلك لأنها كانت ثورة شعب بأكمله من أبناء البسطاء والطيبين الذين قاوموا بكل ما أوتوا من قوة، كما لم يفعل غيرهم من الشعوب.

ثالثا– مقاربة إجرائية لبعض النصوص الشعرية.

إذا كانت سلطة الخطاب الشعري متجذرة في تاريخنا الثوري والقومي والوطني منذ كان الشاعر اللسان والعين المبصرة لأمته، وارتبط تاريخه بقدرته على بلورة صورة الثورة

[1] - صلاح فضل: نبرات الخطاب الشعري. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة. 1998م. ص12.

التحريرية، وتصوير الرؤية الجماعية للهوية، فإنها قد اختزلت أنواع الخطاب السياسي والقومي والوطني؛ وراهنت على تميزها وتفردها.

فعندما يأتي شاعر مثل" عبد الحميد بن هدوقة " ليبعث صورة الثورة التحريرية في أشعاره، فإنه يستثمر خصائص اللغة بوصفها مادة بنائية خاصة وأن « تجربة الشاعر بلغته أوثق من علاقة تجربة القاص أو مؤلف المسرحية، وذلك لأن الشاعر يعتمد على ما في قوة التعبير من إيحاء بالمعاني ولغته التصويرية الخاصة به.» [1]كما في قوله:

حسيبة!
يا ابنة قريتي
حيث الجبال
إن الرمال عطشى
كالجبال
لدما الرجل[2].

يستحضر الشاعر صورة الثورة التحريرية من خلال استثمار دلالة الرمز التاريخي، حيث إن حسيبة هو اسم لشهيدة جزائرية قدمت الكثير للجزائر من أجل تحقيق الاستقلال والحفاظ على الهوية الوطنية، ولا يخفى على المتلقي دلالة الشهيد التي تواجهنا في البيت الأخير حين يقول: " لدما الرجال"، وهو رمز عن الشهيد الذي يحلم بالموت حيث الرصاص يعبر كالخيال وحيث الأرض التي تلد الرجال الشجعان الذين يبذلون المال والنفس من أجل الحرية .

ويصور ابن هدوقة الثورة التحريرية الجزائرية بتوظيف التراكم الكمي لمصطلح "الأرض" الذي ينبه المتلقي إلى غاية دلالية أرادها الشاعر، وأراد تأديتها عبر التكرار، فيقول:

بغير الحق لن يكون هناك وطن،

[1] - محمد الصالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر.1972م. ص212.

[2] - عبد الحميد بن هدوقة: الأرواح الشاغرة. ط3. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر. دار الثقافة: بيروت. 1981. ص14.

ولن يهدأ الشعب للذل بعد اليوم،
ستذبح وتقتل وتروي الأرض بدمائنا،
وستكون الأرض لنا، أما رؤوما،
تعطينا الخبز وتهدينا الكساء،
ونصبح في الأرض أحرارا،
وفي السماء أبطالا![1].

إن تكرار لفظ"الأرض" في المقطوعة يؤكد توق الشعب الجزائري إلى الحرية ورفضه الرضوخ للسلطة الاستدمارية، وبالتالي فإن الشاعر يشيد بالثورة التحريرية التي حققت الآمال وكسرت القيود؛ وفرضت الحضور الجزائري في العالم أجمع.

ومن بين الشعراء الجزائريين الذين فقهوا صورة الثورة التحريرية، وأدركوا ضرورة إثباتها في أشعارهم بعد الاستقلال، الشاعر" عثمان لوصيف " في قصيدته " الكتابة بالنار"، إذ أنها مرآة صادقة للبحث عن الهوية الوطنية الضائعة في براثن الظلم والقهر والتهميش، حيث يقول:

خارطتي تسكن في البرق وفي الرياح.
حدودها تمتد في ضلوعي
بحارها تكبر في دموعي
وطقسها مضمخ بعبق الجراح[2]

من عيون النار، ومن عمق الثورة يغرف الشاعر مادته العصية، والتي يشكل منها قالبا جماليا، ويكتب بها أشعاره التي يرسم من خلالها درب المسيرة وخطة المستقبل؛ فعيون الحريق هي جماله الملهم؛ وقطرات النار هي حروفه الشعرية المتوهجة التي تحدد له معالم الطريق[3]. يريد الشاعر أن يجعل من الثورة الجزائرية مثالا يحتذي به جل الدول

[1] - المصدر نفسه. ص102.

[2] - عثمان لوصيف: ديوان الكتابة بالنار. دار البعث: قسنطينة: ط1. 1982م. ص57.

[3] - إبراهيم رماني: أوراق في النقد الأدبي. ص188.

العربية؛ لأن الاستعمار مهما طال فإن شمس الحرية والاستقلال مشرقة لا محالة، وثورة الجزائر المظفرة خير دليل ومثال على ذلك.

هذا الطريق الذي يرسم خارطة الشاعر ويحدد رؤياه، وهي خارطة ليست جغرافية، إنما خارطة رؤياه للقضية القومية والوطنية والثورية، والتي هي أكبر من حدود الجغرافيا وتاريخي الزمان والمكان:

جسر الأشعة ارتمى في الريح وانكسر
يا شهقة البحور
ويا شظايا النور
خليه في طوفانه، خليه كي لا يستقر.[1]

إن الثورة والشعر توأمان، والرائي هو الشاعر الثوري والرؤيا هي صورة الثورة ودرب المستقبل، بل إن صورة الثورة عند عثمان لوصيف تتجاوز الواقع والمألوف، فهي عنده « ليست انقلابا وتصحيحا في أسلوب الحكم، إنما هي معاناة حقيقية، إنها الغوص في أعماق بحار الأسى والحزن لإشعال نار الجرح الذي يضيء بسمة الأمل وسبيل الآتي، وهي المقاومة الشديدة والمجابهة العنيدة التي ترفع النار الثورية في غمرة القنوط واليأس والسقوط والانحطاط، منارة للفتح ونورا للهدى وسراجا منيرا في دجى الطريق.»[2]

إنها الثورة التي تخرج من رحم الثورة، فالأولى حياة والأخرى موت لما لها من أثر عميق على الذهنية والعقلية التي كانت سائدة آنذاك، وأنها أسهمت في وضع علامات جديدة على طريق الحركة الشعرية العربية متمثلة في البدايات الأولى للقصيدة الحديثة في الجزائر، وبهذا كانت حركة ما بعد الاستقلال حركة معاصرة زمنيا وفنيا، لأنها استطاعت أن تقدم موقفا ثوريا متقدما من التحولات على جميع الأصعدة وفي شكل شعري متميز.

وللثورة وجه نضير فيه الوضوح والإخلاص، يقرأه المتلقي في شعر "نور الدين درويش" الذي ينضح بالتحدي والصمود والثورة بكل حريقها وعذابها، حين يقول:

[1] - عثمان لوصيف: ديوان الكتابة بالنار. ص57–58.

[2] - إبراهيم رماني: أوراق في النقد الأدبي. ص190.

سأظل هنا
سأواصل وحدي المسيرة
لن تنحني أغنياتي ولن أركع
سجلوا في دفاتركم
أكتبوا
قسما
أبدا
لن أخون دم الشهداء
لن أخون الجزائر والصومعه[1]

إن الشاعر يعتزم على إكمال المسيرة وحفظ عهد الثورة والثوار، بأنه لن يخون دم الشهداء ولن يخون الجزائر، وإن واصل المسيرة وحده، لأنه يؤمن بأن الثورة هي التغيير والتجديد والنهضة، بل إنها الانفعال العاصف العنيف، وهي التمرد والإبداع.

ثم إن نور الدين درويش خاض التجربة الإبداعية بكل أبعادها وأحس بالانتصار والهزيمة، إنه انتصار الكلمة وانهزام الذات المحاصرة التي تنشد الحرية والهوية والذات المتحررة، لهذا يبحث عن الخلاص من المحنة التسعينية عن طريق الثورة واستحضار أبعادها وخططها فيقول:

هنا أضرمت نارها الثورات
هنا خفقت بالهوى النبضات
مضى كل عشاقها في السنين
ولكنه لم يزل
نافخا صدره
شاهرا سيفه
يتحدى الرواة
مضت دونه الريح والسنوات[1].

[1] - نور الدين درويش: مسافات. مطبعة جامعة منتوري: قسنطينة. ط2. 2002م. ص32-33.

يفتخر درويش بالثورة التي أضرمت نارها في كل مكان، ليخفق الهوى بالنبضات، ويمضي العشاق في كل السنين، وهي تدعو النور ليعلن عن انتهاء ليل الظلام وريح العذاب والقهر، فيطلع نور الفجر وضياء الحرية وصدى الهوية الملتهبة في قلوب كل الجزائريين الغيورين على وطنهم والعاشقين للشهادة والانتصار .

ويمتد هذا الجسر الثوري ليرتمي في أحضان شعر شاعر جزائري شاب عاش المحنة الجزائرية بكل أبعادها، وشهد حركية التاريخ ودورة الزمن في ذلك الوقت، ليقول "أحمد شنة":

تكلم ...بما تستطيع
أمام المدينة مات الربيع
وذابت رموش الصبايا
ونامت عيون المطر[2].

ولكن أمواج هذا الموت الهائج في تيار عاصف تتكسر أمام صخرة التحدي والثبات والجلد، والذي يتميز به الشعب المناضل المقاتل الذي يغوص في أعماق بحار الأسى والحزن فيشعل من نار الجرح لهيبا يضيء بسمة الأمل وسبيل الآتي.

وبهذه النار الثورية عرف الشعراء الشباب الحقيقة وعثروا على الضائع وأدركوا أن «الشكل ليس حلية ولا مجموعة قواعد، بل تشخيص لأحاسيس ملتصقة بتجاويف الذات، وبأعماق الموضوع.»[3] عن طريق اللغة:

حنجرتي محشوة بالبارود
عينايا تغشاهما
دوامات من الدخان
وقدماي تغوصان
في برك الدماء[1]

---

[1] - نور الدين درويش: مسافات. ص51–52.

[2] - أحمد شنة: طواحين العبث. مؤسسة هديل للنشر والتوزيع: الجزائر. ط1. 2000م. ص49.

[3] - رولان بارت: درجة الصفر للكتابة. تر: محمد برادة. دار الطليعة: بيروت. ط1. ص12.

في دوامات من الدخان وبرك الدماء من رحلة السقوط في زمن الردة والضياع، يبقى البارود شكلا من أشكال الثورة والوفاء لمجدها وصمودها ووسيلة للتغيير والصبر. ولا عجب أن نرى مدى تأثر شعراء ما بعد الاستقلال بالثورة الجزائرية التي ألهبت حماسهم وقصائدهم على حد سواء، فانطلقوا يدافعون عنها ويصفون أحداثها، حتى أصبحت عندهم مثالا حيا للحرية والاستقلال والسيادة الوطنية.

هذا البارود المتصل بالزمن الماضي والرامز إلى حركية التاريخ ودورة الزمن ليشمل العربية الموشومة بالأمجاد والملاحم، ويتحول إلى فخر يطوي صحاري الفناء والفجيعة ويجفف برك الدماء في سنوات المحنة والأزمة والضياع، فيقول "عثمان لوصيف":

أيتها العربية الموشومة
بالأمجاد والملاحم !
أعبدك
ويكفيني فخرا
أن أسجد بين يديك
وأنفض ما تناثر من رماد الفجيعة عن قدميك القدسيتين[2].

وفي ظل هذا الواقع التسعيني المحمل بالآلام والأوجاع، نسج الشاعر " عبد الله حمادي " تفاصيل تجربته في قصيدته "مدينتي " من خلال استحضار الأدوات الحربية من سلاح ورصاص، والقادرة على تغيير وجه مدينته من الاحتراق والوجع إلى إعادة تشكيله مفعما بالأحلام والتطلعات المتتالية الطافحة بالثورة والتغيير، فيقول:

مدينتي....مدينتي
من شوقها
العشق والأفراح
توشحت شرعية

[1] - عثمان لوصيف: قصائد ظمأى. دار هومة: الجزائر. 1999م. ص42

[2] - عثمان لوصيف: قصائد ظمأى. ص43.

" الكتاب والسلاح "
وطم بعنفها بكارة الملاح
فأسكتت
بشهوة " اليقين " و" الرصاص "
ملامح الإفصاح[1]

مادامت الوسائل السلمية غير مجدية، ولا تعيد للمدينة شوقها للعشق والأفراح و« ما دامت الثورة المسلحة لا تتم إلا بضحايا تقدمها ثمنا لتحقيق هدفها، وتقديم الضحايا سيكون ضرورة لا مفر منها لإنجاح الثورة وتحقيق الاستقلال، ويصبح الاستشهاد في سبيل الثورة شيئا يبهج النفس ويثلج الصدر»[2]، فلا عجب أن يبيح عبد الله حمادي شرعية السلاح وشهوة الرصاص من أجل الإفصاح عن وجه المدينة المشرقة، وهي في الحقيقة وسائل تمهيدية للإفصاح عن الثورة وشرعيتها.

خاتمة:

وصفوة القول إن الثورة التحريرية لم تكن حكرا على شعرائها وإنما لكل الشعراء الجزائريين المحدثين مرايا في الحديث عنها، وبعث الهمم والنخوة العربية على الاستيقاظ، لأنها مسؤوليتهم جميعا، ذلك أن أبناء هذا النصف الثاني من القرن العشرين، اكتووا بنار الاستدمار اللاهبة في المحرقة الجزائرية، وانتقلوا كلهم من البؤرة الساخنة إلى الحافة المحاذية لها مباشرة، ثم إن العلاقة بين الوعي القومي بأشكاله الايديولوجية والجرح الجزائري علاقة سببية، تستدعي تضافر الجهود كلها من أجل الحصول على نير الاستقلال والحرية.

1- ليس شعر الثورة حكرا على أولئك الذين تمرغوا في وحل عذابها، واحترقوا بلهيب نارها، واضربوا في أحداثها، فأنتجوا شعرا مضطربا تلمس فيه المعاناة والاحتراق، وهو بالنسبة إليهم المرآة الصادقة التي تعكس واقعهم الحقيقي.

[1] - عبد الله حمادي: البرزخ والسكين. مطابع وزارة الثقافة: دمشق. 1998م. ص104.

[2] - حنان بومالي: الصورة الفنية في قصيدة الذبيح الصاعد لمفذي زكريا. مجلة المخبر: جامعة بسكرة. ع8. 2012م. ص178.

2- إن ما كتبه جيل من الشعراء أتى بعد انتهاء الثورة، فأدرك نتائجها الايجابية، وحصد ثمارها الطيبة، وتكون لديه الإحساس الصادق والفهم العميق لأسرارها، فاكتملت في منظوره الرؤى، واتضحت في ذهنه المفاهيم،.

3- جيل ما بعد الاستقلال يمثل نخبة من الشعراء النوابغ المؤهلين بأعلى المهارات الفنية أعادوا تشكيل مادة الثورة في قالب شعري رائع، كعبد الحميد شكيل في تحولات فاجعة الماء، وبراح سليم في صمت وكبرياء، والزوبير دردوخ في عناقيد المحبة... وغيرهم ممن حملوا على عواتقهم قضايا الوطن بعد الاستقلال، وسعوا من وراء ذلك إلى بث روح الوعي والمسئولية وإيقاظ العقول والضمائر وإذكاء نار الثورة المشرقة.

4- لا ينفع في رأي شعراء هذا الجيل إلا الثورة، لأن المحتل يجهل أن سجن الأرض والناس لا يمنع الدم من أن يطهر البطاح كلها، وأن هذه الثورة يشارك فيها الشرقي والعربي، لأن الأمة العربية جسد واحد وكل متكامل لا تمزقه الأحوال مهما عظمت.

5- ينطلق الشاعر المعاصر في مواقفه من القضايا الاجتماعية والمعيشية، لأن في اعتقاده أن له الحق في الحياة الحرة الكريمة، والتمسك بالديمقراطية التي يراها حقا من حقوق الأفراد والجماعات لكسب لقمة العيش والتعبير عن وجوده بالذات

6- لقد كانت الثورة الجزائرية ومازالت ملهمة الشعراء العرب وسليلهم في شحذ همم الشعوب العربية لأنها قدمت للعالم أجمع درسا في الفداء والتضحية والنضال، أسهم في انجاحها كل طبقات المجتمع دون استثناء.

بيبلوغرافيا الدراسة.

1- إبراهيم رماني: أوراق في النقد الأدبي. دار الشهاب: الجزائر. ط1. 1985م.
2- ابن منظور: لسان العرب. دار صادر: بيروت. ط1. ج3.

3- أحمد شرفي الرفاعي: الشعر الوطني الجزائري. دار الهدى: الجزائر. 2010.
4- أحمد شنة: طواحين العبث. مؤسسة هديل للنشر والتوزيع: الجزائر. ط1. 2000م.
5- أيمن تعيلب: قصيدة الثورة في الخطاب الشعري المعاصر "جدل الشعر والسلطة". دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع: دسوق. ط1. 2011م.
6- بلقاسم بن عبد الله: دراسات في الأدب والثورة. دار هومة: الجزائر. ط1. 2001م.
7- حنا مينا، نجاح العطار: أدب الحرب. دار الآداب: بيروت. ط2. 1979.م.
8- حنان بومالي: الصورة الفنية في قصيدة الذبيح الصاعد لمفذي زكريا. مجلة المخبر: جامعة بسكرة. ع8. 2012م.
9- رولان بارت: درجة الصفر للكتابة. تر: محمد برادة. دار الطليعة: بيروت. ط1.
10- شلتاغ عبود شراد: حركة الشعر الحر في الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر. 1985م.
11- صلاح فضل: نبرات الخطاب الشعري. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة. 1998م.
12- طه حسين: خصام ونقد.دار العلم للملايين.
13- عبد الحميد بن هدوقة: الأرواح الشاغرة. ط3. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر. دار الثقافة: بيروت. 1981.
14- عبد العزيز المقالح: أزمة القصيدة الجديدة. دار الحداثة: بيروت. دار الكلمة: صنعاء. ط1. 1981م.
15- عبد الله حمادي: البرزخ والسكين. مطابع وزارة الثقافة: دمشق. 1998م.
16- عثمان لوصيف: ديوان الكتابة بالنار. دار البعث: قسنطينة: ط1. 1982م.
17 - عثمان لوصيف: قصائد ظمأى. دار هومة: الجزائر. 1999م.
18- غالي شكري: أدب المقاومة. دار المعارف: مصر: 1970م.
19- محمد الصالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر.1972م.

20- محمد زتيلي: فواصل في الحركة الأدبية والفكرية الجزائرية. ط1 .دار البعث: قسنطينة.1984م.

21- ميخائيل نعيمة: دروب. دار صادر: بيروت. ط5. 1968م.

22- الموسوعة العربية المسيرة. دار الجيل: بيروت. ط2. مج2. مادة الثور والثورات.

23- نور الدين درويش: مسافات. مطبعة جامعة منتوري: قسنطينة. ط2. 2002م.

24- يوسف ناوري: الشعر الحديث في المغرب العربي. دار توبقال للنشر: الدار البيضاء. ط1. 2006م. ج2.